



جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

Naif Arab University For Security Sciences

**مفهوم الإعلام الأمني في ظل التطورات
التكنولوجية الإعلامية**

د. عبدالرحيم نور الدين حامد

٢٠٠٦

مفهوم الإعلام الأمني في ظل التطورات التكنولوجية الإعلامية

د . عبد الرحيم نور الدين حامد

١ . مفهوم الإعلام الأمني في ظل التطورات التكنولوجية الإعلامية

المقدمة

أشاع التطور الخاطف لتقانات الاتصال الحديثة مقترناً بالتداعيات الدولية في عصر العولمة وما بعد الحداثة درجة عالية من الآمال العراض والمخاوف المريعة لاستخدامات هذه الوسائل على الصعيدين الدولي والمحلي . فقد مكنت المصاهرة الرمزية بين تقانات الاتصال المتمثلة في الإنترنت والاتصال الرقمي والإذاعات والفضائيات والهواتف المحمولة من ميلاد عصر الانفوميديا «Infomedia» المحرك الرئيسي لطريقة المعلومات فائق السرعة «Information Super highway» .

لقد أدى طريق المعلومات فائق السرعة الذي بدأت ملامحه تتضح في الآفاق إلى إذابة الفوارق الجوهرية بين وسائل الاتصال . فلم يعد بالامكان عزل وسائل الاتصال التقليدية الصحافة والراديو والتلفزيون من التطور الهائل الذي أحدثته أجهزة الحاسوب الإلكتروني ومقدرتها على ربط هذه الوسائل ببعضها البعض وتطويع وتطوير برامجها وأوجه استخداماتها لتحقيق التفاعل المنشود . . فقد تراجع الاتصال التزامني الجامد وحل مكانه الاتصال اللاتزامني التفاعلي الأكثر تأثيراً في حياة البشرية . .

وفي هذا السياق يقول كليش (١١ : ٢٠٠٠) لقد خرجت الكومبيوترات المنزلية من نطاق جهاز الكمبيوتر العادي وأبحرت بعيداً، وبدأ الخط الفاصل بين الوسائط الإعلامية وأجهزة الحوسبة يفقد تحدده شيئاً

فشيئاً ليختفي تماماً في النهاية وهكذا كان التقارب Convergence التكنولوجي بين المعلوماتية والوسائط المعلوماتية والوسائط الاعلامية - التكنولوجية الأعظم تأثيراً وانتشاراً - يعاني مخاضاً عصر الوسائط المعلوماتية .

إن بزوغ فجر طريق المعلومات فائق السرعة قد جعل المحللين يركزون على التغيرات الحيوية التي يحدثها في وسائل الاتصال فسوف يؤدي إلى غنى في الخدمات الجديدة والفرص . ويفضل طاقة اتصال وقدرة كمبيوترية كافية ، ستصبح الوسائل الاعلامية مثل التلفزيون والراديو ، وآلات الألعاب ، أجهزة متفاعلة ثنائية الاتجاه Two-way . وعوضاً عن المشاهدة والاستماع في سلبية لما يجري أمامنا ، سيكون في متناولنا مستودعات ضخمة لأفلام سينمائية digital movies ، ومعلومات وما هو أكثر بكثير . وبدلاً من الامثال لتوقيتات برنامج تلفزيوني عنيد متصلب ، سيكون في أيدي المستخدمين مفاتيح السيطرة في نهاية المطاف . وإضافة إلى عنصر التسلية سنجد أن جيلاً جديداً من الخدمات التفاعلية لقطاع الأعمال سيكون متاحاً داخل المنازل وسيكون التسوق والقيام بالمهام المصيرية من الأمور العادية . . كليش (١٧ : ٢٠٠٠) .

مشكلة البحث

تنطوي استخدامات تقانات وسائل الاتصال التكنولوجية الحديثة على مظاهر ايجابية تمثل في دعم وتعزيز جهود الامة في التطور والنماء وبشكل خاص اسناد برامج الاعلام الأمني وبسط الامن والطمأنينة الوادعة في أرجاء العالمين الإسلامي والعربي . . كما أنها تنطوي على سلبيات وتحديات مريرة تزيد من فداحة تصدي الاعلام الأمني للمشكلات الماثلة في انتشار


العنف والجريمة والانحدار الأخلاقي والانحراف الفكري نتيجة إما للاستخدام الكثيف لهذه الوسائل وإما لمظاهر التربية الفكرية غير السوية التي تساهم تقانات الاتصال في سطوتها وصعوبة التصدي لها اعلامياً . .

فقد أدت الصورة الأخيرة إلى الاهتمام المتعاضم من قبل المسؤولين والنخب العربية باتباع «سياسات» بهدف الحفاظ على الثقافة القومية والإرث الحضاري من التشوه والاندثار . . ورغمًا عن الجهود التي بذلها الباحثون في مسارات الأمن الإعلامي وربطه بالمتغيرات والتحولات العميقة في المجتمعات العربية ، فإن اشكالية تطوير مفهوم الاعلام الأمني وتحديد التحديات التي يتعين أن يتصدى لها الاعلام الأمني في ظل التطورات التكنولوجية لا تزال تتراءى في الأفق وتكتسي أهمية ملحة لتناولها بحثياً وابعصار دلالاتها وتعقيداتها برؤى رصينة تحدد السمات الايجابية والسلبية لاستخدامات تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتحصى التحديات التي تجابه الإعلام الأمني وتحدد سبل مجابتهها .

وتتناول مشكلة البحث بصفة أساسية محاولة الاجابة عن الأسئلة التالية :

- ١ - ما الأبعاد التي تنطوي على مفهوم الاعلام الأمني
- ٢ - ما السمات الايجابية والسلبية لاستخدامات وسائل تقانات الاتصال الحديثة؟
- ٣ - ما التحديات التي يجب أن يوليها الإعلام العربي الأمني أهمية خاصة؟

منهج البحث وإطاره المرجعي

تستخدم هذه الدراسة المنهج الوصفي لوصف وتحليل مفهوم الاعلام الأمني ووصف السمات الايجابية والسلبية لتكنولوجيا الاتصال الحديثة وانعكاساتها على التحديات التي يتعين على الاعلام العربي الأمني التصدي لها بطرق علمية  تراتيجيات مدروسة . .

تشابك ثلاث نظريات لتشكيل اطاراً مرجعياً تهتدي به الدراسة في تحليل الظواهر التي يتعرض لها البحث .

١ - النظرية البنائية الوظيفية Functional Structuralism وتصور النظرية المجتمع على أنه نظام يتكون من أجزاء متفاعلة مترابطة ولكل جزء من هذه الأجزاء مساهمته الأساسية في المجتمع . . وتعتبر وسائل الإعلام أحد هذه الأجزاء . وتستلزم الحياة الاجتماعية المنظمة وجود صورة كاملة ودقيقة ومنظمة عن أجزاء المجتمع وعن البيئة الاجتماعية الخارجية . وفي هذا المضمار تلعب وسائل الاتصال دوراً كبيراً إذ يوكل إليها من قبل المجتمع أن تعمل على توفير التضامن والتكامل الداخلي بين أجزائه ، كما تعمل على توفير النظام الاجتماعي وتغييره . وإعداد المجتمع للاستجابة للتغيرات المختلفة بطريقة عامة وشاملة وواقعية . . ماكويل (١٩٩٢: ٤٤)

٢ - نظرية الرعاية أو الغرس أو الحصاد أو الاستنبات «Cultivation» .
يركز جورج جيرنر الذي يعود إليه الفضل في تطوير النظرية على أن وسائل الاتصال الجماهيري - وعلى الأخص التلفزيون - تعمل على صياغة العالم الرمزي وترعى بناء الجماهير للحقيقة . . وأن عالم التلفزيون عالم «وضيع» يعم فيه العنف حيث يستخدم العنف

من قبل معظم الشخصيات التلفزيونية لتحقيق السيطرة على الصراع من أجل السلطة .

وقد طور جيرببر وزملاؤه مفهوم التيارات السائد والرنين . حيث يشير مفهوم التيار السائد إلى نوع من التجانس داخل الجماعات ، فالجماعة التي تقل مشاهدتها للتلفزيون وتعرض لتأثيرات أخرى تدرك العالم بشكل يختلف عن المشاهدين الذين يكثرون من مشاهدة التلفزيون ويتأثرون بتعرضهم له مكونين وجهة نظر مشتركة «تيار سائد» عن العالم الحقيقي . أما الرنين فيشير إلى زيادة التأثير البارز في رد فعل من إعتاد العيش في ظل ظروف العنف للعالم الأكثر عنفاً الذي يعرضه التلفزيون بحيث يتضخم أو يتركز ادراكهم للعالم الحقيقي باعتباره عالماً من العنف ، دى فليمر (١٩٩٤ : ٢٩٧-٢٩٨) .

٣- نظرية التبعية المتبادلة «Interdependent» يرى دى فلور وروكاغ أن الأنظمة السياسية وغيرها من الأنظمة الكبيرة في المجتمعات الحديثة تعتمد على وسائل الاتصال الجماهيري لتحقيق العلاقات الاتصالية بمعنى أن وسائل الاتصال تسيطر على المعلومات وطرق الاتصال التي تحتاجها الأنظمة السياسية ، الاقتصادية وغيرها من الأنظمة للعمل بشكل فعال ومؤثر في المجتمعات المعاصرة والمعقدة ويقولان بأن التبعية المتبادلة (التداخل) بمناسبة الغراء الاجتماعي الذي يربط بين الوسائل بالأنظمة الاجتماعية الأخرى كما حدد الباحثان العلاقات بين الوسائل الجماهيرية والنظام السياسي على النحو التالي :

أ- غرس وتدعيم القيم والتقاليد السياسية مثل الحرية والمساواة وإطاعة القانون والمشاركة في الانتخابات .

ب- المحافظة على النظام والتكامل الاجتماعي ، وخلق الوعي بالقيم مثلاً أو المساعدة في عمليات تكوين الرأي العام واتخاذ القرارات .

ج- تنظيم المواطنة وتعبئتها للقيام بأوجه النشاط الأساسية مثل شن الحرب .

د- مراقبة الصراعات التي تحدث بين السياسة والدين دى فلور وروكاغ (١٩٩٤ : ٣٤٤-٣٤٦) .

١. ١ مفهوم الإعلام الأمني

يتجذر مفهوم الإعلام الأمني في مسعى مجلس وزراء الداخلية العرب المثابر منذ إنشائه عام ١٩٨٢ على إبراز الدور الحيوي الذي يجب أن تضطلع به الرسالة الإعلامية في تحقيق الغايات الأمنية . فقد كان لجهود مجلس وزراء الداخلية العرب في إنشاء المكتب العربي للإعلام الأمني ومقره القاهرة في دورته العاشرة التي عقدت في تونس في الفترة من الرابع وحتى الخامس من يناير عام ١٩٩٣ دوراً بارزاً في تطور الإعلام الأمني : بدر (١٩٩٧ : ٤٥-٤٦) .

وكانت أهم اختصاصات المجلس ما يلي :

١- العمل على تحقيق التعاون والتنسيق بين الجهود الإعلامية الأمنية في

الدول الأعضاء لمواجهة الجرائم .

٢- إعداد خطط عربية شاملة للتوعية الأمنية تستهدف بها الدول الأعضاء

في وضع خطط مماثلة ، وتطوير هذه الخطط في ضوء المستجدات اللاحقة .

٣ - التعريف بأنشطة مجلس وزراء الداخلية العرب وأمانته العام وأجهزته الأخرى .

وقد تضمنت جهود الإعلام الأمني القطري في بواكير تطبيقات المفهوم عدداً من المجالات التي اضطلعت بها الدول العربية على المستوى القطري وأهمها :

أ - التوعية المرورية .

ب - التوعية بأضرار المخدرات .

ج - نشر أخبار الجرائم ، مع التأكيد بأن الجريمة لا تختفي وأن المجرمين لا يفلتون من يد العدالة .

د - الإعلام في مجال الأمن والسلامة والوقاية من الأخطار . (بدر : ٤٤ : ١٩٩٧) .

وفي سياق تحديد مفهوم الإعلام الأمني فإن الدارس لا يجد اختلافاً بيناً في التعريفات التي أوردتها المهتمون في رسم إطار عام للإعلام الأمني وتحديد مجالاته . . فقد استعرض الباز (٢٠٠١) عدداً من التعريفات أهمها :

- الإعلام الأمني في أبسط معانيه هو ما تقوم به الجهات ذات العلاقة من أنشطة إعلامية ودعوية وتوعوية بهدف الحفاظ على أمن الفرد والجماعة وأمن الوطن ومكتسباته في ظل المقاصد والمصالح المعتبرة .

- الإعلام الأمني هو : بث الشعور الصادق وحق التوجه إلى وسائله وطرقه حتى يحس الإنسان بحق أنه آمن على حياته ودينه وعرضه وماله وعلى سائر حقوقه الأساسية دون تهيب أو سطوة أو جور .

- الإعلام الأمني هو مجموعة من العمليات المتكاملة التي تقوم بها وسائل الإعلام المتخصصة من أجل تحقيق قدر من التوازن الاجتماعي بغية المحافظة على أمن الفرد وسلامته وسلامة الجماعة والمجتمع .

- الإعلام الأمني هو النشر الصادق للحقائق والثوابت الأمنية والآراء، والاتجاهات المتصلة بها، والرامية إلى بث مشاعر الطمأنينة والسكينة في نفوس الجمهور من خلال تبصيرهم بالمعارف والعلوم الأمنية وترسيخ قناعاتهم بإبصار مسؤولياتهم الأمنية وكسب مساندتهم في مواجهة الجريمة وكشف مظاهر الانحراف .

وإذا كان القاسم المشترك بين التعريفات السابقة هو تحديد مفهوم الإعلام الأمني في ضوء الظروف العادية فإن باحثين آخرين قد أضافوا بعداً جديداً للإعلام الأمني يتمثل في مسار الإعلام الأمني وقت الأزمات . .

فقد أشار العمرات : إذا كان الإعلام الأمني مطلوب في الأوقات العادية التي تمر بها أجهزة الأمن لغايات الارشاد والتعليم والتوعية، فإن الإعلام يصبح أشد ضرورة وأهمية ومطلوباً أكثر في أوقات الشدة والأزمات والكوارث والعمليات الخاصة بمحاربة الإرهاب . . (العمرات : بدون تاريخ : ٣٩).

غير أن العمرات ، لم يكن موفقاً في تحديد مفهوم الإعلام الأمني ضمناً حيث أشار إلى أن الإعلام يأخذ شكل القضية التي يتناولها، فإذا كانت قضية سياسية، يكون إعلاماً سياسياً، وإذا كانت اقتصادية يصبح إعلاماً اقتصادياً، ويغدو ثقافياً إذا كانت القضية ثقافية . . وإجتماعياً وحضارياً وبيئياً إذا كانت القضية التي يتصدى لها كذلك . وهكذا يكون الإعلام أمنياً عندما تكون القضية التي يواجهها ويقدم عنها أخباراً ومعلومات قضية أمنية تتعلق بحياة البشر وسلامة اعراضهم وأحوالهم ومكتسبات وطنهم .

لقد مست الحاجة النظرية إلى الخروج من الزاوية الضيقة التي وضع فيها الإعلام الأمني قسراً بأنه مفهوم ضيق يختص فقط بالجوانب الأمنية أو النظر إلى الإعلام الأمني بحسبانه جزيرة منعزلة بعيدة من مسارات الحياة الحيوية مثلما فعل وزراء الخارجية العرب بالقرار رقم (٢٥٦) حينما أشاروا - في منطلقات الإستراتيجية الإعلامية العربية للتوعية الأمنية والوقاية من الجريمة - إلى أن الإعلام الأمني هو جزء لا يتجزأ من الإعلام الشامل .

إن النظرة الجديدة للإعلام الأمني تقتضي اعتبار الإعلام الأمني يتوحد مع الإعلام الشامل على نحو يجعل منه شمولي النزعة ، ديناميكي التوجه دائري المنحى تجديدي المسار عالمي المدار .

وبذلك تشتمل جميع أنشطة الاتصال على مضامين أمنية وتعرض حاضر ومستقبل الأمن إما للأمن والطمأنينة الوارفة الظلال وإما إلى الأهوال والأخطار . وبذلك تصبح الأمثلة التالية مفصلية لتوجهات الاعلام الأمني فالإعلام الأمني يمتد :

من التغطية الإعلامية الخاصة بنجاح عالم إسلامي أو عربي في اكتشاف عقار جديد لمرض عضال إلى انتشار الايدز في احدى البلدان العربية والإسلامية .

ومن الانفلات الأمني في العراق إلى صورة الصبي الذي يتعرق من إدمان المخدرات . . ومن حادث مروري مروع راح ضحيته أربعة شبان إلى أخبار عبدة الشيطان في أنحاء العالم المعولم . .

ومن أنباء المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الاسرائيلي المقيت إلى وجود شواهد على دعم إسرائيل للمتطرفين في توريت . .

ومن اشكاليات ضمور الحرية وانعدام المشاركة في المجتمع الجديد إلى قضايا إجازة قانون حظر الحجاب والرموز الدينية في باريس الذي أضحى يهدد حاضر وماضي الأمة التليد .

ومن مقال عن قطر عربي يتضور جوعاً إلى قضايا البغاء والتحرش الجنسي في الإنترنت . . ومن صورة الإسلام المشوهة في الإعلام الغربي إلى الدعوة الصادقة إلى حوار الحضارات والتسامح بين الأديان . .

ومن تقرير عن مهندس سعودي أنتج تصميمًا لتطوير منطقة الجمرات بمبنى إلى انهيار مبنى سكني نتيجة الغش في مواد البناء .

إن مفهوم الإعلام الأمني في ظل التطور التكنولوجي يدعونا إلى تعريف الإعلام الأمني بأنه : السيرة الرمزية التي يتم بواسطتها إنتاج وبث أو نشر واستقبال الرسائل الإعلامية التي تنطوي على أبعاد سياسية أو اقتصادية أو حضارية تؤثر في المجتمع وتشكل أملاً أو تحدياً يتطلب المواجهة بالإسناد والدعم أو بالدحض عن طريق التخطيط والتوظيف الرشيد .

وتأسيساً على ذلك فإن منظور الإعلام الأمني يتضمن الأبعاد التالية :

١ - إن الإعلام الأمني عملية ديناميكية متجددة من أجل البقاء ومن أجل التطور الإنساني الفاعل . . وهو عملية تتجدد وتطور آلياتها لمواكبة التطورات التقنية في البث والنشر والارسال والاستقبال .

٢ - ويحتل استخدام الرموز أهمية أولية في سلم أسبقيات الإعلام الأمني - فالرموز هي وسائل التعبير المختلفة وتنوع الرموز المستخدمة في الإعلام الأمني المختلفة وتمتد من الرموز اللفظية وتلك غير اللفظية وسائر الرموز المكتوبة والمنطوقة والمصورة والمنعمة والمشفرة .

٣- والإعلام الأمني إعلام تفاعلي ثنائي الاتجاه فينبغي الحرص المهتمون على تصميم الرسائل وتوجيهها لتحقيق التوعية الأمنية فإن هناك رسائل أخرى موجودة في الساحة العربية نتيجة إستخدامات الإنترنت والفضائيات ومحطات ال FM واسعة الإنتشار والصحف والمجلات المحلية والدولية .

٤- ولعل أهم مبسم من مباسم الإعلام الأمني هو شمول واتساع نطاق دائرة الإعلام- وبهذا يشمل الإعلام جميع مناحي الحياة . فلم يعد من الممكن اقتصار الإعلام الأمني على قضايا المرور والمخدرات وانتهاكات القانون المباشرة في شتى المجالات .

٥- الإعلام الأمني يتعين أن يكون وظيفياً بمعنى أن الرسائل الإعلامية والحملات الإعلامية المنظمة ينبغي أن توظف لتحقيق غايات محددة وأن الإعلام الأمني باتساع مجالاته ومحاوره يجب أن يخطط له عن طريق وضع السياسات ورسم الإستراتيجيات قصيرة ومتوسطة المدى وتحديد سبل تحقيق الأهداف من خلال تحديد الوسيلة الإعلامية الملائمة وتصميم الرسائل الهادفة واستهداف المتلقين لتلك الرسائل ومعرفة شرائحهم العمرية والجنسية ومستوياتهم التعليمية ومعرفة مدى إستخدامهم لتقانات وسائط الاتصال وبخاصة الوسيلة التي تحوز على إستحسانهم . .

١. ٢ سمات تقانات وسائل الاتصال الحديثة

يقتضي سباق النقاش عن السمات الإيجابية والسلبية لتقانات الاتصال الحديثة ، تقديم إشارات عابرة عن درجة إستخدام الجماهير في الدول العربية لتقانات ووسائل الاتصال الجماهيري . .

فقد أدى اتساع وتطور تقانات الاتصال الحديثة إلى إزدياد وسائل الاتصال الجماهيري الأمر الذي حتم زيادة عدد المستخدمين لهذه الوسائل .

ففي مجال الفضائيات مثلاً توجد ١٥٠ فضائية عربية بخلاف الفضائيات الأخرى التي يلتقطها المستخدمون عبر الأطباق الفضائية . .

وتتنوع الفضائيات العربية من الفضائيات الإخبارية التي تتقدمها قناة الجزيرة التي تم إنشاؤها عام ١٩٩٦ ، وقناة العربية التي أسست عام ٢٠٠٣ . وتتزاحم بقية الفضائيات ذات الطابع المتنوع وتلك التي تختص بالدراما والرياضة والفضائيات الفنية العديدة التي تستخدم التلفزيون (الخطي) عن طريق الكيبل . .

وينقسم أداء هذه الفضائيات وخاصة الفنية منها بالفجاجة والسطحية والتركيز على المواد الحسية التي تدغدغ المشاعر وتعرض الأمن الأخلاقي للمستخدمين لمخاطر عميقة الجذور . .

أما القنوات الفضائية الإخبارية «الجزيرة» و «العربية» فعلى الرغم من الجهد الخلاق الذي أحدثته في ربط المشاهدين العرب في كل مكان بقضايا الوطن إلا أنها لا تزال بحاجة إلى صياغة قوانين مهنية تختص بمعالجتها لقضايا الإرهاب وسعيها لتقديم صورة إيجابية عن العرب والمسلمين بدلاً عن الصورة المشوهة التي رسمها الإعلام الغربي عن عمده في الأفق الدولي .

وفي مجال الانترنت فإن ما يقدر بأربعة ملايين عربي من إجمالي ٣٠٠ مليون يتعرضون للانترنت . . وهي نسبة قليلة كما قالت عبد المجيد (٢٠٠٤) وهي أيضاً نسبة قليلة ويشكل الشباب النسبة الأكبر لأغراض التسلية واللهو والتواصل مع أصدقاء جدد من جنسيات وثقافات متنوعة . .

وإذا كانت الاحصاءات قد دلت على أن الشباب هم الأكثر إستخداما للانترنت فإن جهود الاعلام الأمني يجب أن تركز بشكل مباشر على فتح مواقع جديدة وإغنائها بالبرامج الجذابة وذات المضمون القيمي والأخلاقي المتميز .

وفي مجال إستخدامات الصحف فقد اشار المناوي : (٢٠٠٤) إلى أن عدد الصحف العربية لكل ألف شخص (٥٣) نسخة مقارنة بـ (٢٨٥) نسخة لكل ألف شخص في الدول الصناعية المتقدمة . . ومن السمات البارزة للصحافة العربية هو أن معظمها إما مملوكة للدولة أو أنها خاصة ولكنها تخضع لضوابط قانونية وتشريعية صارمة مما يجعلها غير قادرة لمواجهة التحديات الأمنية التي تواجهها الدول العربية . . ويزداد الأمر فداحة حينما نجد أن تلك الضوابط تمارس بصرامة في مجال إغلاق الصحف ومصادرة المطبوعات وسجن أو اعتقال الصحفيين الذين لا يلتزمون بنصوص القوانين .

وإزاء هذا التطور المتعاظم لوسائل الاتصال وتقانات المعلومات فإن بعض المحللين يرون في الإنترنت مقدماً لـ «ديمقراطية رقمية» ووسيلة لزيادة المشاركة في حياة المجتمع ، بينما يبدي آخرون مخاوفهم من تأثيرات هذه التقنيات الجديدة على المجتمع وعلى السياسة . . فهو لاء «المتشائمون تقيناً» يرون أن تكاثر وسائل الاعلام والزيادة الكبيرة في عدد قنوات التلفزيون ومواقع الأنترنت والتي جعلت التكنولوجيا الرقمية وتلفزيون الكابل والإذاعة عبر الأقمار الصناعية وضغط حجم البيانات ، كلها عملتا على تجزئة سيل المعلومات وأدت إلى ظهور وسائل اعلام خاصة بمجالات معينة ووسائل اعلام مصنوعة حسب الطلب وهي أمور لم تكن بغير نتائج على العقد الاجتماعي . مارتوج (٢٠٠٠ ص ٧٩-٨٠) وذات السياق يشير شون

(٢٠٠٠ : ص ٩٣) إلى أن التقارب والعولمة يثيران في وقت واحد الأمل والخوف لدى مالكي وسائل الاعلام والمستهلكين الذين يهتمون بالمعلومات ؛ ويقول في هذا الصدد : بينما تعمل العولمة على اختلاف الحدود السياسية وفتح الطريق أمام نشوء هيئات دولية لوسائل الاعلام تعمل متحررة بين الاشراف المحلي . والتقارب والعولمة هما نتيجة التقنيات الرقمية التي تعمل إلى جانب أنظمة البث بالأقمار الصناعية . . ولما كانت وسائل الاعلام تؤثر في حياة غالبية البشر فسوف يكون لهاتين الظاهرتين نتائج بعيدة المدى .

وإذا كان هؤلاء الباحثون قد أبدوا هذه المخاوف على مستقبلي ومستخدمي وسائل الاتصال بشكل عام فإن احتمالات تأثيرات تقانات وسائط الاعلام الحديثة تزداد فداحة في عالمنا العربي في ضوء فقدان الدولة لهيبتها الاشرافية على البرامج التي تبثها الفضائيات على نطاق العالم العربي الكبير . . واستخدامات الأنترنت التي تزداد يوماً بعد يوم . . وفي إزدياد اهتمام المسؤولين والنخب بضرورات الحفاظ على العقد الاجتماعي واغناء هوية الأمة العربية والإسلامية والحفاظ على الثقافة القومية والإرث الحضاري من التشوه والاندثار .

ولعل أحد أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور المخاوف من استخدامات وسائل الاتصال هو تراجع دور الدولة إلى لوحة خلفية بعد أن كانت تمسك بالقوانين واللوائح المنظمة لوسائل الاتصال . ويؤكد مارتوج هذه القاعدة بقوله :

إن التطورات التقنية الرفيعة ، والمناورات المالية واسعة النطاق تحدث في وقت فقدت فيه الدولة - وهي القوة التقليدية للتنظيم والاكراه ، جانباً كبيراً من شرعيتها وعدداً من سلطاتها . إن الشركات متعددة الجنسيات قد

فجرت الأطر القانونية التي كانت وسائل الاعلام في ظلها سابقاً، وبذلك أخذت تتغير أدوات اتخاذ القرارات السياسية وتتعدل العلاقات بين الحاكمين والمحكومين وتتغرز ديمقراطيات الرأي .

وكما سبقت الإشارة فقد بلور الباحثون الإعلاميون النهج المزدوج لتأثيرات وسائل الاتصال الجماهيري في جماهير المتلقين كما بذلوا جهوداً مضنية في سبيل القضاء على التأثيرات غير المرغوبة التي تحققها تلك الوسائل في المجتمعات . . وقد اشتملت لائحة الاتهامات للوسائل الجماهيرية ما يلي :

- ١ - تدني الذوق الثقافي .
 - ٢ - زيادة نسبة الجنوح .
 - ٣ - الإسهام في إفساد الأخلاق .
 - ٤ - خداع الجماهير من خلال مظاهر السطحية وعدم التعمق السياسي .
 - ٥ - كبت الإبداع .
- في حين يرى آخرون وسائل الاتصال الجماهيري ليست أجهزة شيطانية وإنما هي في الواقع تقوم بالمهام التالية :
- ١ - تعرية الفساد والإثم .
 - ٢ - تعمل حارسة للحرية الثمينة للكلمة .
 - ٣ - إيصال بعض الثقافة وليس كلها للملايين .
 - ٤ - تزويد الجماهير المتعبة من العمل بأشكال من التسلية اليومية البريئة .
 - ٥ - إعلام الجماهير عما يدور من أحداث حول العالم .
 - ٦ - جعل حياتنا أكثر بذخاً من خلال الإصرار على استهلاكنا لمنتجات استهلاكية تشجع المؤسسات الاقتصادية على الاستمرار . دي فلور وروكاغ (١٩٩٤ : ١٦-١٥) .

وإذا كانت هذه التأثيرات الإيجابية والسلبية لوسائل الاتصال بشكل عام . . فإن هذه النظرة المزدوجة قد وجهت بشكل مكثف مؤخراً للتقنيات الجديدة باعتبارها وسيلة اتصال حديثة التكوين .

أدى التقدم المتعاظم في شبكة الانترنت وازدياد أنشطتها المعلوماتية والتجارية والترفيهية إلى ظهور نوع جديد من الجرائم «الالكترونية التي تعتبر السمة السلبية البارزة لاستخدامات الانترنت» .
ومن أهم السمات السلبية للانترنت كما أوضحها توماس : (٢٠٠٠ : ١٢٣) ما يلي :

١ - قرصنة الملكية الفكرية وهي التعدي على الطبع والنشر في الملكية الثقافية ، وعلى الحقوق المضمونة للمؤلفين والتوزيع غير المشروع مثل الكتب وشرائط الفيديو .

٢ - المقامرة . . وتتمثل في ظهور نوادي القمار بشبكة الانترنت على نحو غير مرخص به وغير خاضع لضوابط قانونية .

٣ - إنتهاكات القرصنة : الاتصالات الالكترونية التي لا يطلبها أحد ، اساءة استخدام المعلومات الشخصية في قواعد البيانات الشخصية ، الاعتراض غير المرخص به للاتصالات الشخصية .

٤ - الجرائم التجارية : النصب والاحتيال بما في ذلك القرصنة في مجال البطاقات الائتمانية .

٥ - الاتصالات الضارة : المواد غير المشروعة بما في ذلك بغاء الأطفال ومواد العنف والخط من قدر الاجناس أو الأديان والمطبوعات المشوهة للسمعة .

٦ - السطو : أو الاقتحام : الدخول غير المشروع في الحواسيب الآلية الشخصية أو الحكومية أو سرقة البيانات أو الإضرار بالبيانات عن عمد وسوء نية .

وإضافة إلى هذه السليبات فقد أحصى سلطان العلماء (٢٠٠٣ : ٨ -
(١١) عدداً من السليبات أهمها :

- بناء مواد ذات خطر أمني وتتمثل في نشر بعض المواقع على شبكة الانترنت
مواد تعلم صناعة المتفجرات من المواد المتوفرة بالمنازل وكيفية تركيبها
وتقديرها إضافة إلى نشر الارشادات التفصيلية لكيفية ارتكاب الجرائم
وسبل إخفاء آثارها ، بما يمثل دوراً رئيسياً للإرهابيين المبتدئين .

- إساءة استخدام البريد الالكتروني : وذلك بإرسال الرسائل المفخخة
والالكترونية الموقوتة والفيروسات لتدمير معطيات الحاسب الآلي كلياً أو
جزئياً عند فتح تلك الرسائل .

ومن المؤكد أن جميع الاستخدامات غير المشروعة تشكل تحدياً أمنياً
يجب أن تتصدى له الجهود الدولية والإقليمية والمنظمات الدولية ذات الصلة
وخاصة في مجال الإرهاب والمواقع الإباحية التي تحرمها جميع الأديان . .
فقد حددت منظمة (أنقذوا أطفالنا) المتمركزة في كاليفورنيا والمعنية
بحماية الأطفال أكثر من : ٨٠٠٠ موقع في الانترنت تتناول بغاء الأطفال -
كما ذكرت إحدى السلكية اليابانية أن هناك نصف مليون موقع للإباحيين
الجنسيين المتمركزة في اليابان .

ونسبة للأهمية القصوى التي توليها المنظمات الدولية للأطفال فقد
اقترحت منظمة اليونسكو عدداً من الضوابط في سعيها للاسهام في توفير
شبكات الأمان للأطفال . .
وتضمنت تلك الضوابط :

أ - إقامة مركز إلكتروني لتصفية وفرز المعلومات للمنظمات الأهلية للباحثين ووسائل الإعلام ، والأجهزة الفضائية وغيرها من القوى الفاعلة الأخرى لكي يُعلّموا ويُعلّموا ويسعوا إلى المشورة في شفافية تامة . . مما يعني قيام منظمات وشبكات الكترونية تفاعلية لرعاية الطفل .

ب - إنشاء برجى مراقبة اليكترونيين احدهما سيكون بمثابة خط مباشر لمساعدة الأطفال في الحصول على النصيحة والمساعدة أما الآخر فسيكون مخصصاً للتبليغ عن المحتويات أو المواقع غير المشروعة . . والتمكين من الاتصال السريع بقوات الشرطة المتخصصة بغض النظر عن الدولة التي تستضيف هذه المواقع أو الدولة التي تبلغ عن الجريمة .

ج - تدبير الأموال اللازمة واستخدام هذه الدائرة الأولى للشركاء المانحين من القطاع غير الحكومي لإنشاء ما وصفه المدير العام بالمجموعة الاستراتيجية المؤلفة من الشخصيات والمواطنين البارزين لإثارة أصداء العمل ، وحشد الموارد وتوضيح حالة الأطفال أمام العالم .

د - لتشجيع ومساندة تصحيح موضع كتيبات وارشادات أمان للأطفال والمدرسين والآباء .

ورغمًا عن الجهود البارعة التي تضطلع بها منظمة اليونسكو في مضمار التربية والثقافة والعلوم والاتصالات إلا أن توصياتها على الأرجح لا تكون ذات فائدة حتمية . . لسبب عدم قدرتها على فرض القانون إلا بموافقة الجهات المانحة التي كثيراً ما تتلكأ في تنفيذ التوصيات .

ومن زاوية أخرى فإن الانبهار الذي حققته شبكة الانترنت في أوساط المستخدمين يعود إلى مقدرتها الفائقة في تحديد مجموعة من الإيجابيات وأهمها:

- أتاحت شبكة الانترنت فرص الاتصال العولمي بين الدول بحرية شبه كاملة الأمر الذي أتاح لمجموعات عديدة مكبوتة الاندراج في الاتصال العالمي المعولم .

- السرعة في طي الزمان والمكان وتخطي الحدود الجغرافية .

- ارساء قواعد العمل المصرفي والتجاري ومظاهر التسوق .

- يمثل البريد الالكتروني أكثر مفاتن الانترنت بروزاً حيث مكن ربط المشاركين في الخطوط المباشرة من التلاحم الإنساني .

- مكنت الانترنت من تبادل الأفكار والآراء والوصول إلى المعلومات .

- عززت الانترنت من المسار الديمقراطي بتوفيرها فرص المشاركة لملايين المستخدمين الذين حرمتهم الحكومات من المشاركة السياسية الواعية نسبة لاختلاف الآراء .

- أسهمت بشكل مباشر في زيادة فاعلية التعليم النظامي والتعليم عن بعد .

- عززت وسائل الاتصال الجماهيري بسيل دفاق من المعلومات والاختبار والتحليلات .

١. ٣. تحديات الاعلام العربي

تتضافر عدة عوامل وتشكل تحديات ومقيدات هيكلية تكبل مسار الاعلام العربي ، وأهمها ما يلي :

١.٣.١ ضمور الحرية

تمثل الحرية قيمة انسانية عليا . . ولقد ناضل الجنس البشري منذ فجر الخليقة لتحقيق حرية التعبير والحرية الاعلامية عبر العصور . . فقد ثابر اليونانيون ورفعوا من شأن الخطابة . وحققوا قدراً من النجاح في الساحة السياسية وقد كانت البلاغة (الاعلام) واحدة من مواد التعليم الرئيسية : وقدم أفلاطون في كتابه «إعتذار لسقراط» إحدى أقدم وأقوى الحجج المؤيدة لحرية الفكر والمحادثة العلنية حين قال :

«في شخصي تجد ناقداً يحفزك باستمرار إلى الأمام بالاقناع وباللوم وتخضع آراءك باستمرار للفحص ويحاول أن يريك أنك في الحقيقة تجهل ما تفترض أنك تعرفه والمناقشة اليومية للمسائل التي تسمعي أتحدث بشأنها هي أسمى خبر للإنسان فالحياة التي لا تخضع للفحص من خلال مثل هذه المناقشات لا تستحق أن يحتاجها الإنسان» .

وفي فترات لاحقة فطنت منظمة اليونسكو إلى أهمية الحرية الاعلامية ، فقد أشارت المادة (١٩) في قانون حقوق الإنسان عام ١٩٤٨ إلى : «أن كل فرد له الحق في حرية الرأي والتعبير ويتضمن هذا الحق حرية الاحتفاظ بآرائه دون تدخل وحرية في السعي إلى تلقي المعلومات والأفكار ونقلها من خلال أية وسيلة وبغض النظر عن الحدود السياسية» .

وقد شكلت هذه المادة أساساً راسخاً لوثيقة الحق في الاتصال The right to communicate ، التي أقرها المؤتمر العام لليونسكو في نوفمبر ١٩٧٧ . .

وتقول الوثيقة : ومثل كافة حقوق الإنسان الأخرى فإن الحق في الاتصال يتطور وينمو . . وقد رسمت الوثيقة حقوق الاتصال في ثلاث مراحل :

- ١ - رؤية حق الاتصال من زاوية أنه حق الحرية في الرأي والتعبير .
- ٢ - اتساع مدى حق الاتصال ليشمل حرية إعلام الآخرين والحصول على المعلومات منهم .
- ٣ - رؤية حق الاتصال باعتباره طريقاً للتفاعل والحوار ووسيلة تسهل الوصول على المعلومات والمشاركة في تبادلها إلى جانب ما ينطوي عليه من إلتزامات ومسؤوليات . مكنيكار : ١٣٨-٧ .

وفي سياق انعكاسات مبادئ حرية الاعلام في الوطن العربي تجدر الإشارة إلى أن جميع دساتير الدول العربية وقوانين المطبوعات تشير نظرياً على الأقل إلى كفالة حرية الاعلام . . غير أن النظرة الواقعية لواقع الحال في الدول العربية يشير إلى أنه رغماً عن مقدار الحرية المتاح وارتفاع سقفوف الحرية من بلد إلى آخر إلا أن الغالبية العظمى من هذه الدول توجد فيها قيود تكبل الخطاب الإعلامي العربي القطري وتحد من انطلاقاته على نحو مؤثر :

ففي مجال الصحافة نجد جملة من المعوقات التي تقف حائلاً دون حرية النشر ودون افساح المجال للرأي الآخر لكي يبدي رأيه في المسائل ذات الطابع القومي ومن أمثلة تلك القيود :

قوانين الأمن ، قوانين الصحافة والمطبوعات ، الضغوط الاقتصادية ومنها السيطرة على ورق الصحف والضغط عن طريق حجب الاعلانات الحكومية ، والتحكم في القروض البنكية ، والحرمان من معرفة المعلومات الحكومية المصنفة وغير المصنفة (سرية) شهادات قيد الصحفيين ، تعيين الرقباء ، سحب المطبوعات من السوق ، فصل الصحفيين المشاغبين ، الاعتقال والاستجواب ، عمليات الإغلاق والتوقيف الجبرية .

وفي مضممار الإذاعة والتلفزيون هناك قيود مماثلة منها منع تصاريح البث الإذاعي والتلفازي إلا للأشخاص الذين تثق فيهم المنظومات الحكومية .

ونتيجة لهذه المعطيات ، فإن فقدان الحرية الإعلامية يعتبر أحد التحديات التي تجعل الخطاب الاعلامي العربي ضامراً ولا يعبر عن ضمير الأمة ولا عن الحضارة العربية التليدة ولا عن تطلعات الأجيال ولذا فإن الخطاب الاعلامي العربي معني بمجابهة أعداء الحرية لأن الحرية الاعلامية تحقق المزايأ التالية :

- ١ - إن إفساح المجال لحرية الخطاب العربي يكشف عن مظاهر القصور والاختفاق في عمليات البناء والتطوير والتنمية .
- ٢ - يسهم في تيسير تشكيل منظمات المجتمع المدني .
- ٣ - يشارك بفاعلية في الانتقال التدريجي للديمقراطية المرتقبة .
- ٤ - وأخيراً فإن بسط الحريات يجعل الخطاب الإعلامي العربي قادراً على مقاومة المشكلات التي تعرض الأمن القومي والوطني للخطر الأكيد . .

١ . ٣ . ٢ التدخل الخارجي

أحدث احتلال الولايات المتحدة الأمريكية للعراق برزخاً واضحاً في حاضر ومستقبل السياسة العربية كما أدى إلى نحو ملحوظ إلى اضطراب وتناقض الخطاب الإعلامي المصاحب لمواكبة الأحداث التي رافقت عمليات الاحتلال . . ولعل السبب المباشر لإخفاق الخطاب الإعلامي العربي هو درجة الاختلافات في رؤى وسياسات الدول العربية إزاء ظاهرة الاحتلال . .

وبعيد الحرب بقليل ملأت المقالات أعمدة الصحف العربية ، وتنادى المحللون في الفضائيات العربية بعدم عدالة الحرب وأنها دمرت البنية التحتية للعراق وخربت الاقتصاد وقوضت المعالم الحضارية ومع دواعي الحسرة فإن تنادي الخطاب العربي يوقف الحرب أو تقصير أمد الاحتلال لم يحقق أي صدى في أفق السياسة الدولية وكما يقول جرجس : «لا أتت أزمة العراق لتدعم الاتهام الموجه للعرب على أنهم ظاهرة «صوتية» لا يأخذها لا عدو ولا صديق على محمل الجد .

١ . ٣ . ٣ الاحتلال الإسرائيلي

لا يماري أحد في أن الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين منذ عام ١٩٤٨ يشكل أحد التحديات الجوهرية التي تجابه الأمة العربية ويشكل معوقاً قاسي المراس للخطاب الإعلامي العربي . . وإذا كانت المقاومة الفلسطينية قد ارتكنت إلى سلاح الانتفاضة ومقاومة الاحتلال بثتى السبل فإن الخطاب الاعلامي العربي يشكل رأس الرمح في مقاومة الاحتلال الصهيوني . .

وقد شكلت اتفاقية كامب ديفيد في السابع عشر من سبتمبر عام ١٩٧٨ نقطة مفصلية في تاريخ النضال الفلسطيني والعربي ضد الاحتلال الصهيوني . . وأدت الاتفاقية إلى انشطار الخطاب الاعلامي القومي ومنذ ذلك التاريخ ومروراً بانعقاد مؤتمر مدريد عام ١٩٩١ ، ووصلاً بإعلان المبادئ في سبتمبر عام ١٩٩٣ . . ووصولاً إلى الانتفاضة الثانية . فإن الخطاب العربي كان مترنحاً وساهم في هذا الترنح سببان أساسيان :

- ١ - اختلاف الدول العربية حول مشروع التسوية والتطبيع
- ٢ - اخفاق الخطاب العربي في التبصير بأبعاد القضية خارجياً وفي هذا

السياق تقول حنان عشاوي : «عجز الإعلام العربي ناتج عن عدم فهم أهمية وطبيعة الخطاب العام». أي عدم فهم طبيعة رفع المستوى ، والانطلاق بنقلة نوعية في تقديم الذات إلى الآخر . وفي إيجاد نقاط التقاء وتشابك ، وفي ترك الشعارات الفارغة ومحاولات التمويه والخطاب الذي لا مضمون له ، وفي كثير من الأحيان ايضاً التحايل على الذات قبل الآخرين . (عشاوي : ٢٠٠٠: ١٣٥).

لقد لمست عشاوي لب الحقيقة حينما أشارت إلى عدم التشابك . . والسؤال المهم الآن : كيف يتم التشابك بين الفاعلين في الخطاب الاعلامي العربي والدول العربية تتجاذبها رؤى وافكار وقناعات متباينة إزاء قضية الاحتلال والتسوية والتطبيع .

وما لم تحدث نقلة كيفية في وفاق الدول العربية حول مشروع السلام ، وما لم يتخل الفلسطينيون عن التناحر الداخلي فإن الخطاب الإعلامي العربي إزاء الاحتلال الإسرائيلي سوف يظل مهيبض الجناح .

والأهم من ذلك فإن تدخل الإدارة الأمريكية في مشاريع السلام العديدة وبخاصة خريطة الطريق والتي انحازت في وضعها وتنفيذها لمرئيات إسرائيل سوف تكون له آثار بعيدة المدى على مستقبل السلام الفلسطيني . .

١. ٣. ٤. الإرهاب والانحراف الفكري

فاقمت أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ من العلاقات العربية الأمريكية المتوترة أصلاً من خلال نظرة العرب لتحيز الإدارة الأمريكية إلى جانب إسرائيل في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي . . واعتلت قضايا

الإرهاب وتفريخ الإرهابيين وضرورات السعي لاجتثاثهم سلم أولويات الإدارة الأمريكية ومن ثم أصبحت الغذاء الاخباري والتحليلي لجميع وسائل الاتصال المحلية والاقليمية والدولية . .

وقد ساهم في تشكيل صورة مروعة عن العرب باعتبارهم إرهابيين ، وعلى الرغم من أن جميع الدول العربية قد أدانت عمليات الحادي عشر من سبتمبر بوصفها عنفاً وإرهاباً استهدف المدنيين والأبرياء . . إلا أن نهج التغطية الإعلامية العربية وبخاصة البرامج الحوارية في الفضائيات وبعض المقالات التحليلية قد اتخذت منحى غير متناغم . .

فبينما أدان معظم الكتاب تلك الهجمات إلا أن محللين آخرين قد أوجدوا لأنفسهم منصات تعبيرية تتيح لهم مناصرة الأعمال والهجمات الإرهابية التي أججها تنظيم القاعدة . . الأمر الذي انعكس سلباً على حاضر ومستقبل العلاقات الأمريكية العربية .

وفي ذات الاطار فإن أحد أهداف بن لادن كما يقول جرجس (٢٠٠٣ : ٣٤٨) كان صبغ الصراع مع الولايات المتحدة بصبغة دينية باعتباره صراعاً بين معسكر المؤمنين من جهة ، والكافرين من جهة أخرى ، وبالتالي تعبئة أمة الإسلام في العالم للجهاد إلا أن ذلك لم يتحقق ولم تنهض أمة الإسلام لتستجيب إلى نداءه . . بل توجه علماء الدين في الإسلام إلى الشباب المسلم وحذروهم من الانخراط في جهاد تدعو إليه الفئات المتطرفة . لأن المؤسسات الشرعية وحدها مخولة لنداء مماثل .

وإلى جانب صدق المقولة السابقة إلا أن التطرف قد ولد ظاهرة جديدة هي الغلو الديني لدى بعض الشباب الذين ما زالوا يتمسكون بأهداب الفكر

المتطرف ونجم عن ذلك سلسلة من العمليات الإرهابية من عواصم ودول العالم مثل الانفجارات الارهابية .

غير أن العمليات الإرهابية لا يمكن عزو جميعها إلى تأثيرات وسائل الاتصال التي تتضمن العنف وتشجع عليه وتحدث «رنيماً» في المجتمع مثلما تقول منطلقات نظرية الغرس الثقافي . ونسبة لأن وسائل الاتصال لا تعمل وحدها في الساحة طبقاً لمنظور تأثير التبعية المتبادلة فإن هناك منظومات أخرى هي مسؤولة بالدرجة الأولى في تشجيع الإرهاب والعنف والغلو في الدين وتأتي في طليعة تلك المنظومات المؤسسات التربوية والتأثيرات الأخرى في نطاق المجتمع . .

ولذا فإن الانحراف الفكري يعد مسؤولاً عن العمليات الإرهابية المتكررة الأمر الذي يستلزم معالجته بشتى السبل الممكنة . وتنبع في هذا المنحى اشكالية مدى استطاعة وسائل الاتصال تحقيق نجاح في مكافحة الإرهاب؟ والاجابة على ذلك تبدو يسيرة للوهلة الأولى بأن التوظيف الرشيد لوسائل الاتصال يستطيع أن يقلل من فداحة العلميات الإرهابية ومظاهر التطرف في المجتمع . . ومع التسليم بذلك إلا أن عملية توظيف الاتصال لتحقيق هذه المقاصد يتوقف على عدة عوامل أهمها درجة قابلية مستقبلية الرسائل للاقناع ، وعدم وجود عناصر وسيطة تهدم البناء المتناسك الذي تشيده وسائل الاتصال وعدم وجود تشويش أو أفكار متعارضة في الساحتين السياسية والدينية . . وعليه فإن الأفكار الهدامة والجنوح الفكري لن يجدا طريقهما إلى وجدان الشعوب مع وجود يقظة شعبية وإعلام رشيد .

١. ٣. ٥ صورة الإسلام في الإعلام الغربي

تعتبر الصورة النمطية السالبة للإسلام في وسائل الاتصال الغربية التحدي الأكبر والأخطر الذي يتعين أن يوليها الإعلام العربي عناية خاصة . والصورة النمطية للإسلام ليست جديدة في الغرب ، إذ يعود الوضع الحالي إلى ١٤٠٠ سنة من الصدام بين الإسلام والنصرانية ، وينبع كذلك من الحروب الصليبية ومن السيطرة العثمانية والأندلسية على أوروبا . . فعندها امتد الإسلام بسرعة نحو الغرب ، وبدأ يهدد مصالح الكنيسة والطبقة الحاكمة . وكان من مصلحة النخب الغربية وخاصة الحكومات والكنائس أن يكون هناك صورة سلبية عن الإسلام ولذلك لم تكتف بشن هجمات على الإسلام بل شنت حرباً كلامية ضده حتى لا يكون للإسلام معتنقون أو متعاطفون في الغرب ، حسن ، (٢٠٠٠: ٩٥) .

وقد إزدادت صورة الإسلام في الغرب وضوحاً وبخاصة في الولايات المتحدة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي وسعى المفكرون ايجاد بديل لكي توجه إليه السهام بهدف سحقه ومحوه . . ونتيجة لذلك فقد صدرت كتب عديدة ومقالات ودراما توميء إلى الإسلام باعتباره الخطر الأخضر الذي يواجه الديمقراطيات الغربية . وظهرت صورة نمطية جديدة عن العرب وعن المسلمين باعتبارهم : أصوليين ، إرهابيين ، أشراراً ، متعصبين ، متخلفين ، ديكتاتوريين ، ومعادين للنساء ومخربين . . ويسعون وراء اليهود لقتلهم . . وهناك عدة أسباب لانتشار الصورة النمطية السالبة عن العرب والمسلمين في الإعلام الأمريكي أهمها :

- ١ - إعتقاد الأمريكيين على وسائل الإعلام .
- ٢ - الجهل والتحيز الثقافي الذي يعود لأسباب تاريخية وسياسية ودينية - وتشابه نمط التفكير لدى الصحافيين الأمريكيين حول الأحداث السياسية في المنطقة .
- ٣ - التعاطف مع اليهود بسبب معاملة النازيين لهم .
- ٤ - طبيعة عمل وسائل الإعلام التي تركز على الحدث المثير أو البارز من دون إعطاء الاطار العام والخلفية التاريخية للحدث أهمية .
- ٥ - نشاط الممالة الصهيونية المتعاطفة مع إسرائيل والمتغلغلة في وسائل الإعلام على أعلى مستوياته والتي تتسم بالتنظيم القوي وشدة التصميم .
- ٦ - ضعف العرب وبعض الأمريكيين في فهم وسائل الإعلام وكيفية التعامل معها .
- ٧ - الخلافات المستمرة بين الدول العربية وغياب الديمقراطية وانتهاكات حقوق الإنسان التي تساعد على إعطاء صورة سلبية عن الوطن العربي ككل - (غريب ، ٢٠٠٠ : ٧٧) .

١. ٤ مواجهة التحديات

يقتضي سياق مناقشة كيفية مواجهة التحديات السالفة الذكر تقديم خلفية مختصرة عن واقع الإعلام العربي - وهناك نوعان من الإعلام العربي : الإعلام العربي المشترك الذي تضطلع به مؤسسات ومنظمات ذات طابع قومي مشترك وإعلام قطري ينبع من المؤسسات القطرية التي تمتلكها الدولة أو تعود ملكيتها للقطاع الخاص .

وفي مضممار الإعلام القومي المشترك فهناك ما يناهز العشرين مؤسسة أو منظمة يفترض أن تتحمل مسؤولية القيام بالمهام الإعلامية داخل الوطن العربي وإعلام موجه إلى خارج الوطن العربي بهدف التعريف بالدول العربية تاريخها وحاضرها ومستقبلها ونظرة عجلى لواقع الإعلام العربي المشترك نجد أنه على مستوى التخطيط رسم استراتيجيات وسياسات عديدة لخارطة الإعلام العربي في مضممار الهوية القومية، والأصالة والمعاصرة، وقضايا التنمية، وإشكاليات التكامل العربي والوحدة العربية، والتصدي بايجابية للصراع العربي الاسرائيلي، والصور النمطية، والأمن القومي والأمن الإعلامي وغيرها من القضايا المحورية. . غير أن المتبع لتلك الاستراتيجيات والسياسات يجد أنها احتوت على توصيات ذات بريق خطابي رنان ولكنها تفتقر بشكل أساسي على قاعدة التطبيق والتنفيذ. . فعلى سبيل المثال فقد تضمنت الاستراتيجية الإعلامية العربية لمواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين الأهداف التالية :

١ - إبراز الهوية الحضارية العربية والتعريف بها وتنميتها والمحافظة عليها وتقديم الصورة الصحيحة للرأي لاعام العالمي عن العرب وتاريخهم وثقافتهم وجهودهم المتواصلة على طريق التنمية والتقدم.

٢ - التأكيد على الثوابت في مسيرة الأمة العربية كوحدةها ووحدة مصيرها. ونبذ الصراعات والخلافات والتحصن بالقيم والتراث الروحي والعلمي والفني والحضاري.

٣ - إغناء شخصية المواطن العربي في إطار متوازن من الأصالة والمعاصرة باعتبارهما قضية محورية في ظل العالم المفتوح.

٤ - تضيق الفجوة التقنية في المجال الإعلامي بين الإعلام العربي وبين الدول المتقدمة المالكة لتقنيات الاتصال .

٥ - التعامل مع المواطن العربي من خلال الدقو والصدق والموضوعية واحترام حرية التعبير .

٦ - توفير البديل الاعلامي العربي في عصر الفضاء .

وأشارت الاستراتيجية إضافة إلى ذلك إلى إطلاق قنوات عربية جماعية متخصصة تهتك بتقديم الخدمات والتصدي للمشكلات المشتركة وإنشاء مؤسسة قومية للنتاج الإعلامي القومي وإنشاء مراكز قومية للحاسب الآلي ، والبحوث ، والتنمية البشرية .

تقرير لجنة الخبراء حول ملامح الاستراتيجية الإعلامية العربية :
١٩٩٦ : ٩٨-١٠١ .

ومن زاوية جهود مؤسسية أخرى ، فقد أقر وزراء الداخلية العرب في دورته الثالثة التي انعقدت بتونس في الفترة من ٤ - ٦ يناير ١٩٩٦ الاستراتيجية الإعلامية العربية للتوعية الأمنية والوقاية من الجريمة . . وقد اشتملت الاستراتيجية على عدة منطلقات منها :

- تحصين المجتمع العربي ضد الجريمة بالقيم الدينية والأخلاقية

- توجيه المواطن للتخلي بالسلوك السوي ، واحترام القوانين والأنظمة .

- توعية المواطن العربي بطرق الوقاية من الجريمة ، وتبصيره بأهمية اتخاذ التدابير الوقائية لحماية نفسه وممتلكاته

- الإسهام في تكوين رأي عام واع ، بالتعاون مع الأجهزة المتخصصة للوقاية من الجريمة ومكافحتها .

- تطوير المؤسسات الإعلامية للنهوض بمسؤولياتها للوقاية من الجريمة
- وضع ضوابط علمية وتقنية تحكم التداول الإعلامي للظواهر والوسائل ذات الأبعاد الأمنية .
- إبراز دور الأجهزة الأمنية في الحفاظ على الأمن والاستقرار
- تطوير التعاون العربي والدولي في مجال التوعية الأمنية والوقاية من الجريمة، بدر : ١٩٩٧ : ٤٨-٤٩ .

التوصيات

حيث أن الإعلام العربي يتماهى ويتوحد مع الإعلام العربي بصفة أساسية ومركزية ولا يمكن الفصل بينهما . .
وبما أن الإعلام العربي يعاني من اعتماده على الخطابة وصياغة التوصيات الرنانة دون اخضاعها للتنفيذ .

ونسبة لأن الإعلام العربي القومي يعاني من التشرذم وتعدد المؤسسات التي تضطلع بالإعلام وافتقارها إلى التمويل اللازم وضعف الكفاءات البشرية العاملة فيها ، واعتماده على العمل الدعائي المضلل ، وافتقاره إلى الحرية والمصادقية . وحيث إن الدول العربية نفسها قد كرسَتْ جهودها على الإعلام القطري واهمالها لقضايا التضامن والوحدة وعدم مقدرتها على إنهاء الصراعات فيما بينها والمؤثرة على فاعلية العمل المشترك فإن البحث يطرح التوصيات التالية :

أولاً: في المجال القومي

التخطيط للإعلام القومي المشترك بصورة جادة تستجيب لنداءات الحاضر وطموحات المستقبل وتستوعب تقانات وسائل الحديثة وكيفية استخداماتها في ظل العولمة والتلافح الدولي ويأتي في طليعة هذا التخطيط :

- ١- الاهتمام بإدارة الإعلام في الجامعة العربية ومنحها التمويل اللازم .
- ٢- إعادة الحياة لمكاتب الإعلاميين في الخارج وتطويرها للقيام بتصحيح صورة الإسلام والعرب في الغرب .
- ٣- إنشاء قناة فضائية عربية مشتركة ناطقة باللغة الإنجليزية لنفس الغرض .

٤ - التخطيط لاصدار صحيفة عربية باللغة الإنجليزية للإضطلاع بمهام الاتصال المطبوع في الخارج

٥ - إيلاء أهمية خاصة لقضايا الإرهاب والانحراف الفكري في الوسائل المقترحة .

٦ - بذل مجهود جديد في الوسائل المقترحة لمعالجة قضايا الصراع العربي الإسرائيلي في فلسطين المحتلة .

ثانياً: في المجال القطري

- تعظيم دور الاتصال والإعلام الأمني على وجه الخصوص ومعالجة القضايا الأمنية بمنظور متجدد يخرج من دائرة الوعظ والأوامر التي لم تعد تواكب التطورات التقنية التي جعلت الفضاء الإعلامي العربي مفتوحاً لوسائل الاتصال الدولي وبخاصة القنوات العملاقة مثل الـ CNN وقناة الحرة الأمريكية التي بدأت بثها يوم السبت ١٤ مارس ٢٠٠٤ .

- بذل مجهود معتبر للمضامين الإعلامية التي تبثها الفضائيات العربية الخاصة وخاصة ما يتعلق بالإسفاف والتركيز على «الفيديو كليب» ومظاهر التعري والتفسخ التي تركز على الملفات الحسية والترفيه الرخيص .

- التأكيد على أهمية تدريب العاملين في مجالات الإعلام المختلفة حتى يضطلعوا بمسؤولياتهم بكفاءة واقتدار .

- السعي لوضع خارطة مهنية للمهنيين العاملين في وسائل الاتصال المختلفة ووضع التشريعات الملائمة للقضاء على مظاهر القذف والتشهير وبذاءات الأسلوب . . فقد أصبح الإعلام العربي مثلاً صارخاً لتفشي السباب والشتائم . .

- يتعين أن تتضمن الخارطة المهنية تشريعات إعلامية وقواعد أخلاقية تجعل من مضامين وسائط الإعلام نبزاً تقف به الأجيال في الحلم وحسن الخلق ونقاء السرائر وصفاء الضمائر والبعد عن الجريمة .

- الاستفادة من الممارسات الرفيعة لدعم وتعزيز الإعلام الأمني وإيلاء عناية خاصة لنشر الوعي الأمني المتجدد على الدوام .

المراجع

المراجع

الباز، علي . الإعلام والإعلام الأمني الطبعة الأولى : الإسكندرية : مكتبة ومطبعة المعمورة ٢٠٠١ .

بدر، عبد المنعم . تطوير الإعلام الأمني العربي . الرياض : أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ١٩٩٧ .

تقرير لجنة الخبراء حول ملامح الإستراتيجية الإعلامية العربية . المستقبل العربي العدد ٨٣-١٩٩٦ .

توماس، جوليان وآخرون . «السيرة على تقنيات المعلومات والاتصال» تقرير الاتصالات والمعلومات في العالم ١٩٩٩-٢٠٠٠ : القاهرة مطبوعات اليونسكو .

حسن، أنصر . الدعوة للإسلام : «صورة الإسلام النمطية في الإعلام الغربي» قراءات فبراير ٢٠٠٠ .

دي فلور، م . وروكاغ، س . بال . نظريات الإعلام ترجمة محمد ناجي الجوهر الطبعة الأولى ، أربد : دار الأمل للنشر والتوزيع

سلطان العلماء ، محمد عبد الرحيم . جرائم الانترنت والاحتساب عليها : المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب . العدد السادس والثلاثون ٢٠٠٣ .

عبد المجيد ليلي ، تقرير صحيفة الاتحاد الاماراتية ٨ فبراير ٢٠٠٤
عشراوي ، حنان . «أمريكا وسيط لخدمة إسرائيل» حوار ، السياسة الدولية العدد ١٤٢ ، ٢٠٠٠ .

العمرات . «الإعلام الأمني وقت الأزمات» بحث مقدم لندوة العمل
الإعلامي الأمني - الرياض أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية .
غريب ، إدمون . «الإعلام الأمريكي والعرب» المستقبل العربي . العدد ٢٦٠
أكتوبر ٢٠٠٠

كليش ، فرانك . ثورة الأنفوميديا : الوسائط المعلوماتية وكيف تغير عالمنا
وحياتك ؟ الكويت : سلسلة عالم المعرفة العدد ٢٥٣ , ٢٠٠٠ .
مارتوج ، جان بول . حرية وسائل الإعلام» تقرير الاتصالات والمعلومات
في العالم ١٩٩٩-٢٠٠٠ : القاهرة مطبوعات اليونسكو .
ماكنيكار ، د . ر . تدفق المعلومات بين الدول المتقدمة والدول النامية . ترجمة
فائق فهميم . بيروت . دار العلوم للطباعة والنشر ١٩٨٢ .
ماكويل ، دينيس . الاعلام وتأثيراته : دراسة في بناء النظرية لإعلامية
تعريب عثمان العربي : العين ، جامعة الإمارات العربية المتحدة
١٩٩٢ .

المناعي ، عبد اللطيف . تقرير صحيفة الاتحاد ٨ فبراير ٢٠٠٤
يون ، شن سيك «مدى التأثير على وسائل الإعلام» تقرير الاتصالات
والمعلومات في العالم ١٩٩٩-٢٠٠٠ : القاهرة مطبوعات
اليونسكو .